تكون تلك الارض لما كانت مما يصفن فيه الخيل او لتصطف فيه الاقدام سميت صفين فان قيل افيمكن ان تكون النون زايدة مع الياء
كما هي في غسلين وعفرين قيل لو جاء في الاصل صف بكسر الصاد لامكن ان يتوهم الزيادة كالزيادة في غسل وهو ما يغتسل به نحو الخطمي
وغيره فقيل غسلين لما يسيل من صديد اهل النار ودمائهم وكالزيادة في عفر وهو الخبيث الداهي فقيل عفرين لمأسدة بعينها
وقيل عفرين الدواهي هكذا ذكروه ولقايل ان يقول لهم اليس قد قالوا للاسد عفرني بفتح العين واصله العفر بالكسر فقد بان انهم لم يراعوا
في اشتقاقهم وتصريف كلامهم الحركة المخصوصة وانما راعوا الحرف لا كل الحروف بل الاصلي منها فغير ممتنع على هذا عندنا ان يكون الياء
والنون زايدتين في صفين وصفين اسم غير منصرف للتانيث والتعريف قال الخزاعي ادين بما دان الوصي به يوم الخريبة من قتل
المحلينا وبالذي دان يوم النهر دنت به وشاركت كفه كفي بصفينا تلك الدماء معا يا رب في عنقي ثم اسقني مثلها امين امينا
الاصل احمده استتماما لنعمته واستسلاما لعزته واستعصاما من معصيته واستعينه فاقة الى كفايته انه لا يضل من
هداه ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان وفاتحة الاحسان
ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان الشرح وال اي نجا يئل والمصاص خالص الشيء والفاقة الحاجة والفقر والاهاويل جمع
اهوال والاهوال جمع هول فهو جمع الجمع كما قالوا انعام واناعيم وقيل الاهاويل اصله تهاويل وهي ما يهولك من شيء اي يروعك
وان جاز هذا فهو بعيد لان التاء قل ان تبدل همزة والعزيمة النية المقطوع عليها ومدحرة الشيطان اي تدحره اي تبعده
وتطرده وقوله عم استتماما واستسلاما واستعصاما من لطيف الكناية وبديعها فسبحان من خصه بالفضايل التي لا تنتهي
الالسنة الفصحاء الى وصفها وجعله امام كل ذي علم وقدوة كل صاحب خصيصة وقوله فانه ارجح الهاء عايدة الى ما دل عليه
قوله احمده يعني الحمد والفعل يدل على المصدر وترجع الضماير اليه كقوله بل هو شر لهم وهو ضمير البخل الذي دل عليه قوله يبخلون
وقوله عم وزن وخزن من لزوم ما لا يلزم من الباب المسمى بلزوم ما لا يلزم وهو احد انواع البديع وذلك ان يكون الحروف التي قبل
الفاصلة حرفا واحدا هذا في المنثور واما في المنظوم فان تتساوى الحروف التي قبل الروي مع كونها ليست بواجبة التساوي مثال
ذلك قول بعض شعراء الحماسة: يبيضها بكرها النعيم فضاعها بلباقة فادقها واجلها حجبت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان
اكثرها لنا واقلها: واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفؤاد فسلها: الا تراه كيف لزم اللام الاولى من اللامين
اللذين صارا حرفا واحدا مشددا فالثاني منهما هو الروي والتزام اللام الاول الذي هو قبله هو التزام ما لا يلزم فلو قال في
القصيدة وصلها وقبلها وفعلها لجاز واحترزنا نحن بقولنا مع كونها ليست بواجبة التساوي عن قول الراجز وهو من شعراء
الحماسة ايضا: وفتية ليست كهذي الفتيش قد نلبث من نزق وطيش اذا ابدت قلت امير الجيش من ذاقها يعرف طعم
العيش فان لزوم الياء قبل حرف الروي ليس من هذا الباب لانه لزوم واجب الا ترى انه لو قال في هذا الرجز البطش والفرش
والعرش لم يجز لان الردف لا يجوز ان يكون حرفا خارجا عن حروف العلة وقد جاء من اللزوم في الكتاب العزيز مواضع ليست بكثيرة
فمنها قوله سبحانه فتكون للشيطان وليا قال اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا وقوله تعالى
ولكن كان في ضلال بعيد قال لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد وقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق وقوله والطور وكتاب مسطور وقوله بكاهن ولا مجنون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وقوله في سدر
مخضود وطلح منضود وقوله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير
والظاهر ان ذلك غير مقصود قصدا ومما ورد منه في كلام العرب ان لقيط بن زرارة تزوج ابنة قيس بن خالد الشيباني فاحبته
فلما قتل عنها تزوجت غيره فكانت تذكر لقيطا فسالها عن حبها له فقالت اذكره وقد خرج تارة في يوم دجن وقد تطيب وشرب
الخمر وطرد بقرا فصرع بعضها ثم جاءني وبه نضح دم وعبير فضمني ضمة وشمني شمة فليتني كنت مت ثمة وقد صنع ابو العلا
المعري كتابا في اللزوم من نظمه فاتى فيه بالجيد والردي واكثره متكلف ومن جيده قوله لا تطلبن بالة لك حالة قلم البليغ
بغير جد مغزل سكن السماكان السماء كلاهما هذا له رمح وهذا اعزل الاصل واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع والضياء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا

بالبينات وتحذيرا بالآيات وتخويفا للمثلات والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت سواري اليقين واختلف النجر
وتشتت الامر وضاق المخرج وعمي المصدر فالهدى خامل والعمى شامل عصي الرحمن ونصر الشيطان وخذل الايمان فانهارت
دعائمه وتنكرت معالمه ودرست سبله وعفت شركه اطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه ووردوا مناهله بهم سارت
اعلامه وقام لواؤه في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون
مفتونون في خير دار وشر جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم الشرح قوله عم والعلم المأثور
يجوز ان يكون عنى به القران لان المأثور المحكي والعلم ما يهتدى به والمتكلمون يسمون المعجزات اعلاما ويجوز ان يريد به احد
معجزاته غير القران فانها كثيرة ومأثورة ويؤكد هذا قوله بعده والكتاب المسطور فدل على تغايرهما ومن يذهب الى الاول يقول
المراد بهما واحد والثانية توكيد الاولى على قاعدة الخطابة والكتابة والصادع الظاهر الجلي قال تعم فاصدع بما تؤمر اي اظهره
ولا تخفه والمثلات بفتح الميم وضم الثاء العقوبات جمع مثلة قال تعم ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم
المثلات وانجذم انقطع والسواري جمع سارية وهي الدعامة يدعم بها السقف والنجر الاصل ومثله النجار وانهارت تساقطت
والشرك الطرائق جمع شركة والاخفاف للابل والاظلاف للبقر والمعز وقال الراوندي في تفسير قوله خير دار وشر جيران خير دار الكوفة
وقيل الشام لانها الارض المقدسة واهلها شر جيران يعني اصحاب معوية وعلى التفسير الاول يعني اصحابه قال عم وقوله نومهم
سهود يعني اصحاب معوية لا ينامون طول الليل بل يرتبون امره وان كان وصفا لاصحابه عم بالكوفة فهو الاقرب فالمعنى انهم
خائفون يسهرون ويبكون لقلة موافقتهم اياه وهذا شكاية منه عم لهم وكحلهم دموع اي نفاقا فانه اذا تم نفاق المرء ملك
عينيه ولقايل ان يقول لم يجر فيما تقدم ذكر اصحابه عم ولا اصحاب معوية والكلام كله في وصف اهل الجاهلية قبل مبعث محمد صلى
الله عليه واله ولا يخفى ما في هذا التفسير من الركاكة والفجاجة وهو انه يريد بقوله نومهم سهود انهم طول الليل يرتبون امر معوية
لا ينامون او ان يريد بذلك ان اصحابه يبكون من خوف معوية وعساكره او انهم يبكون نفاقا والامر اقرب من ان يتمحل له مثل
هذا ونحن نقول انه عم لم يخرج من صفة اهل الجاهلية وقوله في خير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا وهذا لفظ النبي صلى الله
عليه واله حين حكى بالمدينة حاله كانت في ابتداء البعثة فقال كنت في خير دار وشر جيران ثم حكى عم ما جرى له من عقبة بن ابي
معيط والحديث مشهور وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع مثل ان يقول جودهم بخل وامنهم خوف اي لو استماحهم محمد صلى الله عليه
واله النوم لجادوا عليه بالسهود عوض النوم ولو استجداهم الكحل لكان كحلهم الذي يصلونه به الدموع ثم قال بارض عالمها ملجم
اي من عرف صدق محمد صلى الله عليه واله وامن به في تقية وخوف وجاهلها مكرم اي من جحد نبوته وكذب به في عز ومنعة وهذا
ظاهر الاصل منها ويعني آل النبي صلى الله عليه وعليهم هم موضع سره ولجأ امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال
دينه بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه الشرح اللجأ ما يلتجأ اليه كالوزر ما يعتصم به والموئل ما يرجع اليه يقول
ان امر النبي صلى الله عليه واله اي شأنه ملتجئ اليهم وعلمه مودع عندهم كالثوب يودع العيبة وحكمه اي شرعه يرجع ويؤول اليهم
وكتبه يعني القران والسنة عندهم فهم كالكهوف له لاحتوائهم عليه وهم جبال دينه لا يتحلحلون عن الدين او ان الدين ثابت
بوجودهم كما ان الارض ثابتة بالجبال ولولا الجبال لمادت باهلها والهاء في ظهره ترجع الى الدين وكذلك الهاء في فرائصه والفرائص
جمع فريصة وهي اللحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد من الدابة الاصل منها في المنافقين زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا
الثبور لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه واله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا هم اساس الدين وعماد اليقين
اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله
الشرح جعل ما فعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعوه ثم سقوه فالذي زرعوه الفجور ثم سقوه بالغرور والاستعارة واقعة موقعها
لان تماديهم وما سكنت اليه نفوسهم من الامهال هو الذي اوجب استمرارهم على القبائح التي واقعوها فكان ذلك كما يسقى الزرع ويربى
بالماء ويستحفظ ثم قال وحصدوا الثبور اي كانت نتيجة ذلك الزرع والسقي حصادا هو الهلاك والعطب واشارته هذه ليست الى
المنافقين كما ذكر الرضي رحمه الله وانما هي اشارة الى من تغلب عليه وجحد حقه كمعوية وغيره ولعل الرضي رحمه الله عرف ذلك وكنى
عنه ثم عاد الى الثناء على آل محمد صلى الله عليه واله فقال هم اصول الدين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي جعلهم كقنب يسير في فلاة

Copyright © King Saud University